يمتلىء الشيوعي كاظم إحساساً بالقذارة، لأن العامل لمس يده. فما كاد يبتعد «حتى أخرج كاظم من جيب سترته زجاجة الكولونيا الدقيقة التي تلازمه، وصبّ منها قطرتين في كفّيه، وفركهما، ثم صبّ عدة قطرات فيهما انطلق شذاها إلى خيشوميه، فتلذّذ به، وفرك كفّيه ثانية. وفجأة انتبه إلى ما يفعل. أعاد الزجاجة بسرعة إلى جيبه، خاشياً أن يكون هناك من رآه وهو يعقّم يديه».

«بعد ذلك بربع ساعة كان كاظم اسماعيل في مكتبه... وقد أمسك القلم بيد معطّرة معقّمة، ليكتب مقالاً عن وليد مسعود...» يجعله «برجوازياً يجعل من الإنسانية قناعاً يخفي به خوف طبقته من الإنهيار».

يا للمفارقة المؤلمة!

وليد أصبح ثرياً لأنه عصامي، وليس لأنه برجوازي!

المهم، أن وليد هذا، قرّر أن يختفي، وزمن الإختفاء، يتراوح بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٢. لأن مذابح أيلول تروى كتاريخ ماض، في حين أن حرب ١٩٧٣ لم تقم بعد.

واختفاء وليد يظل لغزاً، ينكشف في الصفحات الأخيرة من الرواية. ويظل أصدقاء وليد يتساءلون: هل اغتيل؟ هل دمّرته قوته الجنسية الخارقة؟ هل...

وابن وليد، قُتل في عملية فدائية بطولية، فهل جن الأب حزناً؟

أما كيف اختفى وليد، فهنا العجب. غادر الحدود العراقية بسيارته، ثم غادرها إلى مكان مجهول، مخلّفاً وراءه شريطاً سجّله بصوته، يحكي عن أشياء كثيرة، إلا عن سبب اختفائه؛ فهو يقول:

«ولكن ساهرة لا تعرف للخطيئة الأصلية معنى وعذرتها في ريعانها كوردة من ورود بغداد الحمراء الجنونية، وعيناها الواسعتان تشعّان بخواطر محرقة كالنيران الجائحة...».

«ويقول أيضاً:«وليقل إبراهيم ما يشاء عن أهمية الحياة بين حشود الأنذال والخونة، وسط لزوجة الوحل والأسن، ووجه شهد كالجوهرة كتفاحة المجانين، وهي تعرض لي حلمتيها كنذير بالثواب والعقاب...»

وفي الصفحات الأخيرة من الرواية، تخبرنا وصال أنها «اتصلت في عمان بعيسى ناصر، وفي بيروت بخالد أبومطر، وأسامه حمّاد، وعبد الرحمن الناظر، وأسماء كثيرة لا أذكرها، وكيف أنهم كادوا يجمعون على استنتاج واحد؛ وهو أن وليد اختفى عن قصد ليضلّل ملاحقيه، لكي يستطيع أن يتحرّك بحرية خلف خطوط العدو. إنه يريد أن ينتقم لمقتل مروان. على طريقته، على طريقته المجنونة العنيدة. ويوم يشعر بأنه قد شفى غليله، سيعود».

إذن، عاد وليد إلى عادته التي أدمن عليها: قتل عشرات الصهاينة إلى أن يشفي غليله، الذي لا يشفى أبداً.

ووليد الذي قارب الستين من عمره، حسب الرواية، كاتب مشهور، ورأيه في كتابته،